فصلنامهٔ علمی‌پژوهشی کاوش‌نامه
سال نهم (۱۳۸۷)، ویژه‌نامهٔ عربی، ضمیمهٔ شمارهٔ ۱۷

مقارنة بين العربية الفصيحة والعربية العامية*

الدكتور محمد خاقانی إصفهانی[۱]

أستاذ مشارک فی قسم اللغة العربية وآدابها بجامعة اصفهان

ملخص:

إن العالم العربی مجتمع لغوی واحد، له لغة واحدة هی العربية، لكن اللهجات العربية ابتعدت بعضها عن البعض الآخر بمرور الزمن، حتی ليكاد حديث العراقی مثلاً بلهجته يستغلق علی الجزائری وغيره من أهل العالم العربی، وهكذا بقية اللهجات. والازدواجية اللغوية شیء بديهی فی اللغة العربية. وفيها نمطان من الأداء اللغوی:

– لغة فصيحة مشتركة، تستعمل فی المحافل العربية العامة ويكتب بها الشعراء ويخطب بها الخطباء فی المحافل العربية العامة

– ولهجات عامية مختلفة، يتحدث بها الناس فی أسواقهم وبيوتهم وشؤون الحياة اليومية المعتادة فی المحادثات والبيع والشراء.

هذه المقالة تعالج:

۱. مدی الخلاف بين العربية الفصيحة والعربيات العامية المتنوعة.

۲. آثار هذا الخلاف فی الواقع المعاش وفی العالم العربی.

۳. الإشكاليات التی برزت من هذه الازدواجية بين الأدباء والألسنيين والمواقف المتضاربة التی اتخذتها المجامع اللغوية والمؤسسات اللسانية والتعليمية إزاء هذه الظاهرة اللغوية.

۴. مدی ضرورة تعرف الطلاب والأساتذة الإيرانيين علی هذه اللهجات وهذه الاتجاهات.

المفردات الأساسية: العربية الفصيحة، العربية العامية، الازدواجية اللغوية

---

* تاريخ دريافت مقاله: ۸۷/۶/۱۲ تاريخ پذيرش نهايی: ۸۷/۱۱/۱۹

۱- نشانی پست الكترونيكی نويسندهٔ مسئول: mohammadkhaqani@yahoo.com

المقدمة

مع إطلالة العصر الحديث، برز نوع جديد من علم اللسانيات، تختلف عن فقه اللغة التقليدى الذى عرفه العالم الإسلامى منذ بداية ظهور الإسلام.

واتجه هذا العلم الحديث إلى النمط التوصيفى لدراسة اللغات البشرية بدلا من النمط التجويزى أو التكليفى الذى كان ينصبغ به فقه اللغة. واهتمت اللسانيات الحديثة باللغة الشفهية بالعكس من فقه اللغة، واعتبرتها أساس اللغة ورأت أنها مقدمة على اللغة المكتوبة بمئات آلاف سنة. ولذلک جعلت دراسة اللهجات فى مختلف اللغات فى صلب اهتماماتها.

وانعكست هذه الظاهرة على واقع اللغة العربية، فحذا بعض اللسانيين العرب حذو الغربيين فى دراسة اللهجات العربية. لكن هذا الاتجاه قوبل برفض شديد من جانب المحافظين العرب الذين اعتبروا الاهتمام باللهجات العربية مخلا بوحدة الشعوب العربية. وقد درس بعض اللسانيين علاقة اللهجات بالعربية الفصيحة، فظهرت أبحاث لإرجاع المفردات العامية إلى أصولها الفصيحة، من هؤلاء الباحثين:

حسن توفيق العدل(۱۳۲۲) فى كتاب: أصول الكلمات العامية.

الشيخ محمد على الدسوقى(۱۹۱۳م): تهذيب الألفاظ العامية.

الدكتور أحمدعيسى(۱۹۳۹): المحكم فى أصول الكلمات العامية، نشر فى القاهرة.

عبد القادر المغربى(۱۹۴۹): عثرات اللسان فى اللغة، نشر فى دمشق.

أحمد أبو الخضر منسى(۱۹۶۳): حول الغلط والفصيح على ألسنة الكتاب. (السيد.۱۹۸۹.ص۷۷).

سندرس هذه الإشكالية ومواقف اللسانيين العرب تجاه هذه الظاهرة.

١. انقسام العربية إلى لغة مشتركة ولهجات (فصيحة وعاميات)

إن المجتمع العربى كان على هذه الشاكلة التى نراها من حولنا منذ العصر الجاهلى، والازدواجية اللغوية شىء بديهى فى اللغة العربية. وفيها نمطان من الأداء اللغوى:

– لغة فصيحة مشتركة، تستعمل فى المحافل العربية العامة ويكتب بها الشعراء ويخطب بها الخطباء فى المحافل العربية العامة كأيام الحج، ويتنافرون فى الأسواق الأدبية التى كانت تقام، مثل سوق عكاظ، ويستعملها العرب اليوم فى شؤون الأدب والعلم والثقافة وإدارة أمور الدولة.

– ولهجات عامية مختلفة، يتحدث بها الناس فى أسواقهم وبيوتهم وشؤون الحياة اليومية المعتادة فى المحادثات والبيع والشراء.

وليست العربية بدعاً وحدها فى هذه الثنائية، فإننا نجدها فى كثير من اللغات، على اختلاف نسبة التفاوت فيها بين الفصيحة والعامية.

وقد نشأت هذه الازدواجية فى الجزيرة العربية قبل الإسلام بين اللغة الأدبية المشتركة ولهجات القبائل، إذ كانت الأولى لغة الأدب والعهود والمواثيق، وكانت الثانية لغة التفاهم فى الحياة اليومية. ولم يكن هناك فارق كبير بين هذين المستويين التعبيريين، لأن اللهجات ليست لغات مستقلة، وإنما هى اختلافات صوتية وصرفية بين القبائل، تتعلق بظواهر الإمالة والفتح والهمز والتسهيل والإدغام والوقف والتصحيح والإعلال والقصر والمد وما إلى ذلك من أمور لم تكن عائقاً أمام التواصل بين القبائل، كما أنها لم تكن منفردة ومجتمعة بعيدة عن اللغة الأدبية التى اصطفيت منها. (فيصل.١٩٩٢.ص٢٤)

٢. خصائص اللغة المشتركة أو اللغة الفصيحة

قد أورد الأستاذ «إبراهيم أنيس» (١٩٦٠. ص٥) صفات اللغة المشتركة (الفصيحة) فقال:

«يجمع اللغويون المحدثون على أن أهم معالم لغة مشتركة يمكن أن تلخص فى الصفتين التاليتين:

١. إنها مستوى لغوىٌ أرقى من لهجات الخطاب فى غالب الأحوال، أى إنها ثابتة الأركان والدعائم، قد استقر أمرها على قواعد ونظم لا تسمح لها بالتغير أو التطور إلا فى القليل من الأحيان، وبعد أجيال من الاستعمال، ولذلک يتخذها الناس مقياساً لحسن القول وإجادة الكلام.

٢. هى اللغة التى لا يستطيع السامع أن يحكم على المنطقة المحلية التى ينتمى إليها المتكلم بها؛ أى أن اللغة المشتركة، وإن تأسست فى بدء نشأتها على لهجة منطقة معينة، قد فقدت مع الزمن أن نسى الناس فى أثناء استعمالها كل المنابع التى استحدثت منها عناصرها، وأصبح لها كيان مستقل. فلا تذكرنا فى أثناء التكلم بها أو سماعها بمنطقة خاصة أو بطبقة خاصة، بل يشعر كل من السامع والمتكلم أنها ملک الجميع وأم الجميع، لا يدّعيها لأنفسهم قوم بأعينهم، ولا تنسب إلى بيئة معينة، وهى لذلک تكتسب الاحترام من الناس جميعاً.

٣. ما هى اللهجة؟

يعرف الأستاذ «روبنز» اللهجة بأنها: العادات الكلامية لمجموعة قليلة من مجموعة أكبر من الناس تتكلم لغة واحدة، ويورد ثلاثة أسس مختلفة تذكر فى تحديدها، قد يرى بينها تناقض، هى أن اللهجات:

١. صيغ من الكلام مختلفة، ولكن التفاهم متبادل بينها دون ضرورة لتعلمها.

٢. هى الصيغ الكلامية المستعملة فى حدود منطقة موحّدة سياسياً.

٣. هى صيغ لمتكلمين يستعملون نظام كتابة مشترك، ويشتركون فى مجموعة من المكتوبات الفصيحة. (أبو الفرج.١٩٦٦. ص٩٣)

وأول مصداق على أن العربية كانت منقسمة إلى فصحى ولهجات ما هو مشهور من حديث العلماء عن الفصيحة والعامية منذ أقدم ما وصل إلينا حتى الآن.

فقد روى أن «عمر» قال:

«تعلموا النحو كما تتعلمون السنن والفرائض».(الجاحظ. ١٩٨١. ٢١٩/٢).

ولم يكن عمر ليحثّ الناس على تعلم النحو، ويشدّد فى ذلك حتى يشبهه بالسنن والفرائض، إلا لاختلافٍ بين ألسنة الناس حينذاك، وبين اللغة الفصيحة التى تلتزم قواعد النحو.

ومازال فى المجتمع العربى من يتصور أن العربية كانت قديماً فصحى صافية، ثم تدهور الحال فنشأت اللهجات. وهذا غير صحيح (أبو الفرج.١٩٦٦. صص٩٥-١٠٠)

والوحدة اللغوية بدأت قبل ظهور الإسلام، بل نمت و ازدهرت وعرف كثير من العرب من قبائل مختلفة بفصاحة القول وإجادة الشعر، لأن إتقان تلك اللغة الأدبية كان موضع فخر بين رؤساء القبائل والخاصة من الناس. (أنيس.١٩٦٠. ص٢٨)

٤. أسس التفريق بين الفصيحة والعامية

يعتمد المحدثون فى تفريقهم بين الفصيحة والعامية على عاملين:

١. عامل جغرافى، وهو يحدد اللهجات أيضاً. والفصحى تعتبر على هذا واحدة من اللهجات، وكثيراً ما تكون المدينة العاصمة هى المنطقة الجغرافية المرتبطة بالفصيحة ، وعبارة المدينة العاصمة هنا مستعملة بطريقة ثقافية، أوسع من مجرد عاصمة دولة من الدول.

فالفرنسية الباريسية تمثل الفصيحة لمتكلمى المثقفين بالفرنسية فى بلجيكا وفى سويسرا، كما أن هذا هو حالها فى فرنسا.

٢. عامل طبقى ثقافى، فالطبقة المثقفة التى تذيع لغتها بين الناس عن طريق الأدب أو الصحافة أو الإذاعة أو ما شابه ذلك، تكون لغتها مشتركة بين مجموعة كبيرة من الناس، وتصل عادة إلى ما وراء حدود مجموعة من اللهجات.

٣. العامل الزمنى، وقد اعتبره القدماء فى التفريق بين الفصيحة والعامية، إذ «قد وقفت المعاجم باللغة عند حدود معينة من المكان والزمان لا تتعداها»، فالحدود المكانية شبه جزيرة العرب، والحدود الزمانية آخر المئة الثانية من الهجرة لعرب الأمصار، وآخر المئة الرابعة لأعراب البوادى». (مقدمة المعجم الوسيط ص ٩ تأليف لجنة من المجمع اللغوى)

٥. اللهجات واللكنات

فى كل مجتمع لغوى توجد أشكال متنوعة من الاستعمال اللغوى. وهذا التنوع المسمى باللهجات نتيجة عدة عوامل كالبيئة الجغرافية والسن والمهنة والمكانة الاجتماعية والاقتصادية والفصيلة العنصرية والجنسية. (اچيسون.١٩٨٨.ص١٦٧)

أشهر أنواع التنوع اللغوى فى المجتمع اللغوى الواحد يظهر فى اللهجات(**accent**) واللكنات (**dialect**) المختلفة.

اللهجات المختلفة لا خلاف فيها حسب هذا التعريف إلا فى اختلاف طريقة تلفظ الألفاظ المشتركة. أما اللكنات فهى مختلفة أيضاً فى النظام الصوتى والنحو والمفردات.

٦. اللهجات واللكنات العربية

كان اللغة العربية منذ زمن قديم تشتمل على لغات ولهجات متعددة. ومن الطبيعى أن تنشأ مثل هذه اللهجات فيها نظرا لسعة الرقعة الجغرافية التى عمت فيها الفصيحة ، واختلاف طبيعتها من مكان إلى آخر، ونظراً لاختلاط البيئات والقبائل بعدد من الشعوب الأعجمية.

اللهجات واللكنات العربية الفصيحة تقع بين خطين فرضيين، يمر أحدهما من جنوبى مكة إلى البحرين، وثانيهما من شمالى المدينة إلى شمالى الحيرة. والخلافات بين هذه اللهجات الفصيحة لا تتعدى مجرد اختلافات فى طريقة النطق، مع شىء من الاختلاف فى المفردات المستعملة. ورغم أن التفريق بين هذه اللهجات أمر صعب، لكن ما تبقى من آثار الباحثين القدامى يكفى لدراسة التناقضات اللغوية والخلافات الصرفية والنحوية بين مختلف القبائل، منها:

٧. الخلافات البارزة بين اللهجات العربية

١. ظاهرة التلتلة (كسر أول الفعل المضارع) الموجودة فى جميع اللهجات العربية، عدا منطقة الحجاز.

٢. (ما) النافية، وهى لا تعمل فى لهجة تميم، بينما تنصب خبرها فى لهجة الحجاز، وقد وردت الآية القرآنية: ((ما هذا بشراً)) بهذه اللهجة.

٣. (كم) الخبرية، و هى تنصب تمييزها فى لهجة نجد، وتجرها فى لهجة الحجاز. (آذرنوش.١٣٧٧)

٨. الظواهر اللغوية للهجة طىء القديمة

١. إلحاق علامة تثنية أو جمع عندما يكون الفاعل مثنى أو مجموعا

ولهذه الظاهرة امتداد فى اللهجات العربية المعاصرة. (مثل قول العامة: ظلمونى الناس، وزارونا الجيران) (الخطيب.١٩٨٦. ص ١٠٣)

۲. استخدام (ذو) اسما موصولا

۳. الوقف على تاء التأنيث، مثل: مدرست. مازال هذا لهجة من لهجات شمإلى الجزيرة العربية.

۹. العربية البائدة والعربية الباقية

مصطلح «العربية البائدة» تطلق على اللغات الثمودية واللحيانية والصفائية، وتقابلها «العربية الباقية» التى تستعمل للآثار التى بقيت من عصور الجاهلية نثراً ونظماً، ثم القرآن الكريم والحديث.

واهتم المسلمون بالمحافظة على العربية التى أصبحت لغة القرآن والدين، وحاولوا أن يبعدوها من الامتزاج والاختلاط بسائر اللغات للحيلولة دون ركاكتها وفسادها.

يمكن تتبع الخريطة اللغوية، من الجاهلية المبكرة حتى العصور العباسية المتأخرة عبر المراحل التالية:

۱۰. اللغات الجنوبية المنقرضة

وهذه اللغات ظهرت فى اليمن، وتأثرت بلغات أعجمية كالحبشية والفارسية وغيرها، إلى حد أثر فى شكل الحروف العربية فى بعض الأحيان، عدا الألفاظ الغريبة المتعددة. ولم يبق من أثرها اليوم سوى بعض النقوش التى تشير إلى عدد من ميزاتها وخصائصها.

۱۱. اللغات الشمالية

وهى لغات بنى غسان المتأثرة أيضاً بلغات أعجمية، وعلى رأسها لغة الروم واللغة النبطية والسريانية والآرامية وغيرها. غير أن هذا التأثر لم يكن ليفعل فعله فى جوهر اللغات العربية الشمالية. فقد حافظت هذه على أصالتها، واستمرت بالتالى تعيش وتتطور وتعم بلاد العرب قاطبة، قبيل الإسلام وبعده.

١٢. لغة القرآن

وهى لغة القريش، قبيلة الرسول محمد(ص)، وهى واحدة من اللغات الشمالية، ويقال إنها كانت اللغة الأدبية فى الجاهلية. فجاء الكتاب المنزل ليضفى عليها هالة قدسية، ويكرسها لغة للمسلمين وبالتالى للعرب. لذا عمت لغة القرآن بين شتى القبائل العربية. فبعد أن أصبحت اللغة الدينية المقدسة، تدرجت فى دورها الحضارى إلى أن أصبحت اللغة القومية للعرب فى شبه الجزيرة وفى بلاد الفتوحات. وكان مركز انطلاق هذه اللغة مكة والمدينة أو منطقة الحجاز بشكل عام. (الريحانى.١٩٩٤، ٨)كانت «لجنة اللهجات» قد قدمت إلى المؤتمر فى دورته السادسة والأربعين طائفةً من الألفاظ التى يظن أنها عامية، إذ تجرى على الألسنة فى البيت والمصنع والسوق والحقل، بينما هى فى واقعها من الفصيحة ، وقد أثبتها المعجمات. (الخطيب، ١٩٨٦ص ١٠٣)

١٣. جدلية الدعوة إلى الفصيحة والعامية

إن النقاش بين الداعين إلى الفصحى والمصرين على العامية نقاش حادّ وصاخب.

يلاحظ أن فى تسمية اللهجات العربية قديماً بـ «اللغات» وجه للحديث عن «اللغات العربية» بدلاً من اللهجات.

فى هذا المجال، يرى «أمين آلبرت الريحانى» أن العرب القدامى اصطلحوا على تسمية «اللهجات» المختلفة بينهم بـ«لغات»، وذلك أن عرب الجاهلية وعرب صدر الإسلام والأعصر الأموية والعباسية، لم تكن لغتهم العربية بمختلف لهجاتها مهددةً بالتقاعس والانهيار والتلاشى أمام انتشار اللهجات واعتمادها كتابة وأدباً وجعلها طرفاً للنزاع مع اللغة الفصيحة كما هى الحال اليوم. فلم يكن ثمة خوف أو تردد أو إحراج فى تسمية اللهجة لغة، إذ لم يكن الصراع قائماً بين لغة فصحى ولهجة عامية بمفهومنا المعاصر". (الريحانى.١٩٩٤. ص ٧)

١٤. أنصار الفصحى

ترى الفئة الداعية إلى اللغة الفصحى أن العربية عامل حيوى فى مجال التفاهم والتقارب العربى، ووسيلة مثلى فى توطيد الوشائج وتأكيد الأواصر، وهى قبل ذلک لغة القرآن ولغة الأدب والعلم، انحدرت إلينا منذ أكثر من أربعة عشر قرناً. ولكن الذين يحاولون هدم الإسلام وتفتيت اللغة العربية وغزو الثقافة العربية هم الذين يدعون للعامية كلغة تخاطب بين الشعوب. ولقد قال المستشرق «جاک بيرک»: «إن مستقبل الأدب فى العالم العربى هو اللغة الفصيحة وحدها الزاخرة بالثروة والغنى والتراث، وليس اللهجات العامية بلغة كيانية، بل هى تحريف وتشويه للفصحى. ولن تتمكن هذه اللهجات إطلاقاً من اجتياز جدار التراث». فالذين ينادون بهجر اللغة العربية واستبدالها بغيرها لهم مآرب شتى من تدمير الإسلام، ونبذ كل ما خلفه من تراث رائع. وما أكثر ما ينطبق عليهم قول الشاعر العربى:

كناطح صخرة يوماً ليوهنها

فلن يضرها وأوهى قرنه الوعل

وترى هذه الفئة أنّ من وظيفة العلماء اللغويين: الدفاع عن سيرة اللغة وماضيها، بغية الاحتفاظ بالتراث الثقافى. فيأخذ علم اللغة ـ من هذا المنطلق ـ منحىً تكليفياً، يُلزم الشعب مراعاة قواعد اللغة، واعتماد اللغة الفصيحة فى النشاطات الاجتماعية، ويحذّرهم عن الأخطاء الشائعة.

۱۵. أنصار العامية

بالمقابل، وفى رأى الفئة الثانية الداعية إلى العامية، لهذا العلم منحىً توصيفى، يقف عند تنظيم ما يجرى الله على ألسن عباده. وليس لأحد من العلماء اللغويّين أن يعلّم الناس كيف يجب أن يتكلموا. فالشعب هو المرجع فى اللغة، وربما يستند بعض أصحاب هذا القول بالآية الشريفة: ((وما أرسلنا من رسول إلا بلسان قومه)). (إبراهيم ـ ۴).

لا معنى ـ من هذا المنطلق ـ للخطأ الشائع، وقد لا يكون شيء أصحّ من الخطأ الشائع. وقيل بالمناسبة: «الخطأ الشائع صواب رائع!».

بناء على رأيهم، اللغة الفصيحة (وبالأحرى: الفصيحة)، هي التي تدور على ألسنة الجمهور، وليست تلك المحبوسة بين دفّتى كتب اللغويين.

ثم إن اللهجة العامية «تملك شحنات شعورية وتعبيرية فى جوانبها لا تملكها الفصيحة ، فبحكم كونها لغة الناس اليومية الطازجة ، فإن هناك العشرات من التعابير القادرة على عكس الواقع والمشاعر التى لا تستطيعها العربية الفصيحة . . . ولكن العربية من ناحية أخرى أوسع أفقاً بالتأكيد، فقاموسها أكبر من قاموس العامية الفقير فى غير مجالات المشاعر. وحسَب رأيى فإن شعر العامية يجب أن يقصد الإمساك بهذه الطاقة التعبيرية وتفجيرها وهذا أمر ليس بالقليل ، فحياة الشعر من حياة الناس فى الشارع ، فإذا خلا بنيانه منها ضعف وصخر وفقد الحيوية. ولكن إخراج هذه الطاقة لا يمكن أن يتم بالتعامل مع العامية كفولكلور ظريف يتم تذكّره فى المناسبات الوطنية. إن من يريد أن يطوِّع العامية عليه أن يعاملها كلغة ، فهى لا تعطيه نفسها إذا أراد أن يرتديها مثل كوفية فى الاحتفالات. (على أبو سالم.٢٠٠٧)

هذا النقاش، أخذ يتوسّع فى الآونة الأخيرة بين مختلف اللغات، والفارسية تشارك العربية فى خوض هذه المعركة، إلا أنّ حمّى المعركة فى العربية لا تقيس بما نلمسه فى الفارسية ولا سائر اللغات، لأن العربية تنفرد فى كونها رحاباً لنصّ مقدّس هو القرآن، ويُعتقد بأن أىّ مساس بالعربية الفصيحة يؤثّر سلباً على استيعاب المفاهيم القرآنية من جهة، كما يقضى على وحدة شرائح العرب الخاضعة لأنظمة سياسية متناقضة.

وممّا يسبّب حدّة هذا النقاش فى العربية أكثر منها فى الفارسية: انتشار الأقطار العربية فى آسيا وأفريقيا، واصطدامهم المباشر بالثقافات الأوروبية، وخاصة بالأدبين الفرنسى والإنكليزى، وتأثر الأدب العربى منهما بعد فتح نابليون لمصر، وفتح مدارس وجامعات

إنكليزية أو فرنسية كثيرة في مختلف البلدان العربية، واعتماد اللغات الأوروبية في بعض الجامعات الرسميّة الأهليّة وحتى المدارس والحضانات، خاصّة في لبنان. وتأثّرت المدارس الأدبية ولغة الخطابة والشعر والمسرح والسينما بهذه الصدمة.

لنقرأ ما يقوله أحد النقّاد في تصوير ظاهرة الازدواجية اللغوية:

"يبدو أن الخراب اللغوي يشيع الآن بقوة في أرجاء العربية...، وها هي جحافل التتار الجدد من أعاجم العصر الجديد، تزحف على قلاع الفصيحة ، لتحطّم أقوى أسوارها. وها نحن، بعد أن دالت الأيام وتداولتها الأزمنة، صرنا نسمع نشرات الأخبار بالعاميّة والتصريحات السياسية بالعاميّة. وبالعاميّة أيضاً تعقد مؤتمرات السيّاس والريّاس والقوّاد وأرباب العباد. إنه التلوّث الجديد الذي يكتنف سماء اللغة اليوم، ويسمّم بجراثيمه القول والعبارة والفكرة معا". (صقر أبو فخر،۲۰۰۱)

۱۶. أعلام الدعوة إلى العامية

في غمرة العمل على إحياء اللغة العربية وتطويعها للتعبير عن روح العصر، ساور الشك عدداً من الكتّاب والمستشرقين في مستقبل هذه اللغة وقابليتها لاستيعاب التطور الحاصل، والمتواصل على كل صعيد، لدى الشعوب المتقدمة.

فظهرت الدعوة أولاً إلى إحلال اللغة العامية في مكان العربية الفصيحة ، على صفحات مجلة المقتطف في مجلدها السادس سنة ۱۸۸۱-۱۸۸۲. وأحدثت هذه الدعوة ضجةً كبرى في صفوف الكتاب، وتناولها بالرد أو بالدفاع فريق من اللبنانيين والمصريين والأجانب.

وبلغت الحماسة ببعض مناصري الدعوة حد إصدار مجلة باللغة العامية، هي «مجلة الأزهر» لـ«ويلكوكس»، ولكنها لم تتمكن من الاستمرار إذ توقفت سنة صدورها (۱۸۹۳) بعدما ظهر منها عشرة أعداد. وقد تطورت هذه الدعوة فنادى بعض أنصارها بكتابة العامية

بالحرف اللاتينى، ثم انتقلت هذه الدعوة إلى لبنان حيث ما زال لهـا أعـداء ومناصـرون إلـى يومنا هذا.

اقترنت الدعوة إلى العامية والكتابة بالأحرف اللاتينية بأسماء بعض المفكـرين الأجانـب من أمثال «ويلكوكس» و«ويلمور» فى مصر و«ماسينيون» و«كولان» فى المغرب العربى.

ثم تبنى هذه الدعوة بعض المفكرين العرب من أمثال: «سلامة موسـى» و«عبـد العزيـز فهمى» و«لطفى السيد» فى مصر، والأب «مارون غصن» والدكتور «أنيس فريحة» و«سـعيد عقل» فى لبنان.(محمود أحمد السيد١٩٨٩ص٧٥)

واتهم الدكتور «ولهلم سبيتا» فى كتابه: «القواعد العربية العامية فى مـصر» الـصادر عـام ١٨٨٠ اللغة العربية بالصعوبة، وأن هذا لسبب هجرها العرب، وراحوا يستعملون العاميـة فـى حياتهم اليومية. كما ينصح «ولكوكس» المصريين بنبذ هذه اللغـة الـصعبة الجامـدة، واتخـاذ العامية أداةً للتعبير الأدبى، اقتداءً بالأمة الإنكليزية التـى أفـادت فـائرة كبيـرة منـذ هجـرت اللاتينية التى كانت لغة الكتابة والعلم يوماً ما.

١٧. الدعوة إلى إحلال لغة أجنبية محل العربية

إلى جانب الدعوة إلى العامية، ظهرت دعوة أخرى تنادى بالتخلى عن العربيـة الفـصيحة والعامية، واستخدام لغة أجنبية حية. وفى رأى أصحاب هذه الـدعوة أن العربيـة ليـست أداة صالحة للتعبير، وهى سائرة إلى الموت، ولا سبيل لإحيائها مهما توفّر لذلك مـن جهـد. وأن اعتماد لغة أجنبية يختصر المسافة التى تفصلنا عن الحضارة، ويمكننا مـن اسـتيعاب العلـوم الحديثة بدل التلهى بنقلها.

وكان من أصحاب هذه الدعوة الكاتب اللبنانى «أمين شـميل» الـذى تـصدى لحمـلات «عبد الله النديم» صاحب مجلة «التنكيت والتبكيت»، فشغل جدلهما كل الأوساط الأدبية فى مصر''. (الزيتونى.١٩٩٤. ص ٢٧)

اعتبر الأمر المذكور أحد مزاعم صعوبة العربية (إلى جانب أمرين آخرين، هما: الحرف العربى وصعوبة القواعد العربية).

۱۸. ردود أصحاب الفصحى

هل الصعوبة فى استعمال العربية مشكلة لغوية حقيقية أو زائفة؟

القائلون بهذه الصعوبة يقصدون أمرين:

الأول: تعقّد بنية الفصيحة وتعدد قوانينها واتساع متنها واتصافها بالجمود وعدم المرونة.

والثانى: صعوبة تعليم الفصيحة وتعلّمها.

أما الأمر الأول، فلا يقرّه النظر اللغوى الحديث، لأن اللغات كلها صعبة، لها قواعد ومتونٌ ليس من اليسير امتلاك ناصيتها. إن اللغة أية لغة صعبة، يحتاج إتقانها إلى معارف نحوية وبلاغية وعروضية ومهارات لغوية كالحديث والكتابة والقراءة.

أما الأمر الثانى الخاص بصعوبة تعليم الفصيحة وتعلّمها فصحيح. بيد أن الصعوبة هنا ليست نتيجة بديهية لتعقّد الفصيحة وتعدد قوانينها واتساع متنها، وإنما هى صعوبة تربوية، لا علاقة لها باللغة، وإن كانت اللغة موضوعها.(فيصل.۱۹۹۲.ص۴۰)

والحقيقة أن الازدواج بين العامية والفصحى، أو بين لغة الكتاب والقراءة، ولغة الحوار السوقية أمر قائم فى جميع لغات العالم.

ومن أنصار الفصحى الدكتور «أحمد سعيد سليمان» الذى حمل على دعاة العامية، مشيراً إلى حركة حديثة تهدف إلى تعزيزها وخاصة بالنسبة إلى الغرب للحصول على درجات علمية. كما حمل «عبد الرزاق البصير» على وسائل الإعلام التى تشجع العامية، وبيّن الأخطار التى تتعرض لها العربية فى الخليج. (الخطيب.۱۹۸۶. ص ۲۳)

كما شكا الأستاذ «على النجدى ناصف» ـ عضو المجمع من القاهرة فى الدروة الـ٤٤ ـــ طغيان العامية على الفصيحة فى جميع البلدان العربية، ثم دعا إلى ضرورة تكاتف أنصار الفصيحة لإنقاذها مما يحيق بها من مخاطر، والداخلى منها ليس أقل خطراً من الحرب الخارجية التى يتزعمها أعداء العربية.

واستثارت الكلمة «الأستاذ مصطفى مرعى»، الذى ختم أقواله بمطالبة من هم قدوة الاهتمام بالعربية الفصيحة وعدم التذرع بالعامية، لأن الواقع يدحض هذه الذرائع، فأئمة المساجد وخطباؤها فى قرى مصر من أسوان إلى الإسكندرية، وكذلك الأمر فى سائر بلاد الإسلام ـ يحدثون الناس بالفصحى ويفهمهم الناس، ثم إن القرآن الذى يُتلى على الناس، وهو قمة الفصاحة والبيان العربى، يفهمه العامة حين يتلى ويتأثرون به. فما حجة أولئك القادة وقد أبطلها الواقع؟ (الخطيب.١٩٨٦. ص ٢١٠)

هذا، وقد عقد مجمع اللغة العربية سنة (١٩٨٦) مؤتمره السنوى السادس والستين، تحت عنوان "الفصيحة والعامية فى لغة الإعلام"، والحديث فى معظم الأبحاث دار حول اللهجة العامية.

وكان المجمع فى مؤتمر العام الماضى (١٩٨٥) قد طرح القضية نفسها، على وجه العموم، لكنه آثر هذا العام أن يقف وقفةً مطولةً ومتخصصةً، ليناقش القضية على الساحة الإعلامية، وبخاصة فى الإذاعة والتليفزيون.

بدأ الدكتور «شوقى ضيف» رئيس مجمع اللغة العربية المصرى فى طرحه لقضية المؤتمر هذا العام، فقال:

«معروف أن الفصيحة لغة العرب القومية التى تجمع بلدانهم فى أمة واحدة، ودين واحد، وتاريخ واحد، وأدب عربى واحد، وثقافة عربية واحدة، وقد نقل إليها علماؤنا حديثاً علوم الغرب. وهى لغة الفكر العربى القديم والحديث.

وليست العامية لغة، بل هى لهجة تولدت من العربية، وليس فيها للعرب دين ولا تاريخ ولا أدب ولا علوم ولا ثقافة ولا فكر ولا فلسفة ولا قواعد تدرس، ويمكن بها أن نتعلم، وكثرة ألفاظها ذات أصل فصيح لكنه تحرف، وبعد عن أصله قليلاً أو كثيراً.. ومع ذلك نجد للعامية بيننا أنصاراً».

واستطرد الدكتور شوقى ضيف: «وكل هذا التاريخ المجيد للعربية لا يعرفه أنصار العامية، ولذلك يقولون عن جهل دعونا من الفصيحة ، ولنتخذ العامية لساناً لنا، ولو أخذت مصر والبلاد العربية برأيهم تفككت وحدة الأمة العربية وأصبح لها لغات بعدد عاميات شعوبها التى تصل إلى نحو ٢٠ عامية».

أضاف شوقى ضيف: «يصبح من العجب العجاب أن تعنى لغة الإعلام عندنا فى الإذاعة المسموعة والتلفزة المرئية بأن تخاطب الناس بالعامية، غير ملتفتة إلى أنها تتجنى على الفصيحة لغة ديننا وتاريخنا وعلومنا وأدبنا الرفيع وثقافتنا وفلسفتنا، وبكلمة مختصرة تتجنى على وجودنا القومى. وهو ما يخالف مخالفةً شديدةً واجب وزارات الإعلام فى مصر والبلاد العربية إزاء الشعوب العربية وأبنائها من الناشئة».

ثم ألقى رئيس مجمع اللغة العربية الأردنى الدكتور «عبد الكريم خليفة»، الذى شارك فى المؤتمر ببحث عنوانه: "العربية الفصيحة والعامية فى الإذاعة والتلفاز"، ألقى كلمة قال فيه:

«أما الخطر الذى يهمنا فى هذا الحديث، فإنه يتمثل بالتوجه نحو العاميات الإقليمية فى جميع الدول العربية وتشجيعها فى برامج الإذاعة والتلفاز، بل وفى بعض دور النشر. فإذا كانت الصحافة قد بدأت نسبياً فى وقت مبكر فى الوطن العربى، فإن الإرسال الإذاعى قد جاء متأخرا».

وأضاف الدكتور خليفة:«وفى كل مرة تتعرض الأمة العربية إلى محن سياسية وعسكرية تنطلق الأقلام الموتورة للنيل من اللغة الفصيحة. وبدأت العامية تجد طريقها إلى المحافل

الرسمية وإلى خطب الرؤساء والوزراء والمسئولين الرسميين، وكان ذلك حتى أوائل الخمسينات من القرن العشرين عملاً مستهجناً. وتولدت الفتن والأحداث والحروب الداخلية تجتاح الأمة العربية فى العديد من أقطارها، وبدأ التقوقع الإقليمى والمحلى والطائفى يجد طريقه إلى السياسات الرسمية فى معظم الدول العربية لاسيما الفنية منها والمؤثرة. ومن الطبيعى أن ينعكس هذا كله فى أجهزة وسائل الإعلام، وكانت الإذاعة والتلفاز أهم هذه الأدوات باعتبارهما جزءاً لا ينفصل عن السياسة الإعلامية فى كل قطر عربى».

ووصل الدكتور خليفة بالقضية إلى تحديد أكثر حين قال: «تنطلق من أروقة بعض الدول العربية المهمة لاسيما ما كان منها مهد العربية الفصيحة فى الجزيرة العربية حركات منظمة جعلت اهتمامها الفعلى بالعامية المعاصرة أدباً وفكراً وتراثاً، وتجد هذه الاتجاهات الدعم من أقوى عناصر المجتمع تأثيراً، فأنشئت بعض المؤسسات التى تهتم بنشر العامية وبتسخير المال لتشجيعها، والحث على البحث والنشر والتأليف بها. واستجابت لهؤلاء وسائل الإعلام المسموعة والمرئية والمقروءة».

وعلى الصعيد الأردنى، قدم الدكتور عبد الكريم خليفة فى بحثه تحليلاً لخريطة البث الإذاعى والتليفزيونى فى المملكة الأردنية، مستخلصاً بالجداول والأرقام والإحصاءات عدد الساعات التى يتم تقديمها بالفصيحة ، وعدد الساعات التى تبث بالعامية، ثم يستخلص فى النهاية:

«إن نظرة شاملة على هذه الموضوعات التى تبث باللغة العامية الدارجة، وقد بلغت نسبتها ٨,٨١٪ تقريباً من مدة الإرسال التليفزيونى تقودنا إلى القول بأن هذا الوضع اللغوى المتردى فى وسائل الإعلام لاسيما المرئية منها لا يستجيب إلى واقع جمهور الشعب الأردنى، ولا إلى أمانيه القومية وتطلعاته إلى التقدم والرقى والإبداع».

ومن الأردن إلى ليبيا، حيث اقترح الدكتور «على رجب المدنى» عضو المجمع المراسل فى بحثه حلولاً لمشكلة طغيان العامية فى أجهزة الإعلام، قائلاً:

«ولعل من أهم ما ينبغى أن تلتزم به وسائل الإعلام التركيز على رصد ما يجد لديها من مفردات وأساليب نطق مبتكرة أو مستمدة من لهجة التخاطب السائدة بين الناس، وتقديمها أولا بأول إلى اتحاد المجامع أو المجمع الذى تقع فى دائرة تواجده، وتنتظر ما يصدر عنه من دراسةٍ وقرارٍ بشأن كل من تلك المفردات والأساليب، على نحو يحقق التوافق بين وجهة نظر المجمع فى إجازتها واتجاه الجهة الإعلامية لاستخدامها. ولا يخفى ما فى اندساس العامية فى الفصيحة دون رقابة من خطورة التشويه لأساليب النطق العربى الموروثة».

وفى ختام بحثه أهاب الدكتور على رجب المدنى بالمجامع العربية أن تسعى من أجل تخصيص أركان ثابتة ودائمة لها فى كل وسائل الإعلام المقروءة والمسموعة والمرئية، تتولى تموينها تباعاً بما يجد من أعمالها ومنجزاتها، على نحو مبسطٍ يستهدف التغلغل إلى جميع المدارك والمستويات.

ومن ليبيا إلى الجزائر، حيث قدم الدكتور «أبو القاسم سعد الله» عضو مجمع اللغة العربية المصرى المراسل من الجزائر بحثاً طرح فيه قضية الفصيحة والعامية على أرضية خطر مشترك، وهو خطر العولمة الذى يهدد لغات قومية عديدة لحساب لغة قومية واحدة يسعى إلى تسييدها.

قال الدكتور أبو القاسم: «إن ما نشهده اليوم ونحن فى مرحلة أصبح الإعلام يسميها مرحلة العولمة هو الهجمة التى تقودها شبكة المعلومات على اللغة العربية، سواء كانت الفصيحة أو العامية، حتى الفرنسية والإيطالية واليابانية وغيرها، تعانى من لغة المعلوماتية وهجمة العولمة، كما تعانى اللغة العربية ومثيلاتها، وهى تحاول أن تتخذ لنفسها وسائل

للحماية الذاتية ما أمكنها، فتجند إعلامها المحلى ومجامعها وعلماءها وسياسييها ليقفوا ضد هذه الموجة العاتية. وأول ضحايا هذه العولمة اللغوية هم الشباب، ابتداءً من سن المراهقة.

فمن جهة الفاعل، هناك خريطة جديدة للتعامل مع الآخر لاكتشاف خباياه وألوانه، من الرغبات الجنسية، إلى الآفاق العلمية، إلى الرياضة والمسليات وغير ذلك، مما يشد العين والفكر والقلب لتلك الشاشة الصغيرة.

أما من جهة المفعول به، فهناك لغة لتلقى المعلومات غير اللغة التى اعتاد الشاب سماع موسيقاها أو ألف رؤية حروفها، وهى فى العادة لغة انجليزية مقتضبة أو مختصرة فى مصطلحات ورموز، سرعان ما يتعرف عليها المتلقى حسب تعليمات يتقنها بالممارسة».

واستمر الدكتور أبو القاسم فى تسليط الأضواء على المخاطر المعاصرة التى تهدد اللغة العربية بشقيها الفصيح والعامى، فقال:

«وهناك أنواع أخرى من الإعلام، تواجه الفصيحة والعامية معاً، ونعنى بها الإشهار أو الإعلانات التجارية، فقد أصبحت شاشة التليفزيون والسينما تعج بالصور المغرية والملونة والمتحركة فى أشكال مختلفة للترويج، ومعظمها موجهة للشباب والنساء. وكلها تستعمل فى أغلب الأحيان العامية المختلطة بأسماء العلامات التجارية والعناوين والأسماء الأجنبية المنطوقة بأصوات عربية، فيكون ذلك ترويجاً لا للبضاعة فقط، ولكن لألفاظ ومعانى اللغة الأجنبية، إضافة إلى ما يحدثه ذلك من أثر سلبى على اللغة الوطنية باعتبارها غير قادرة على توصيل نفس الألفاظ والمعانى إلى المنتمين إليها».

والاهتمام بظاهرة الإعراب كان موضع عنايةمنذ العصور القديمة. وقد روى أن عمر سمع أعرابيا يقرأ قوله تعالى: ((إن الله برىء من المشركين ورسوله)) بجر رسوله فنبهه على الخطأ وكان ذلك سببا فى وضع النحو إن صحت الأخبار(ابن الأنبارى، نزهة الألباء ص ٤). وكان عبد الملك بن مروان يحذر أبناءه من اللحن، وكان يقول لهم: "إن اللحن فى منطق الشريف

أقبح من آثار الجدری فی الوجه، وأقبح من الشق فی ثوب نفیس"(ابن قتیبة.۱۳۵۵. عیون الأخبار ۱۵۳/۳). وشیوع اللحن دلیل علی أن للقوم لغة یتخففون فیها من الضوابط الثقیلة وهی اللغة المستعملة وهی لغة کثیر من الناس، ولغة التخاطب فی الحیاة الیومیة. والمشکلة اللغویة قائمة فی عصرنا، وذلک لأن العربیة الفصیحة المکتوبة هی غیر العربیة المستعملة فی التخاطب وغیر اللهجات الدارجة التی لم ترق إلی لغة المثقفین. ولیس قیام المشکلة علی هذا الوجه بمستحیل الحل، فشیوع الثقافة وتیسیر المعرفة لأبناء العربیة علی شکل عام کفیل برفع مستوی اللغة إلی الحد الذی کانت العربیة فی مختلف عصورها.(السامرائی. ۱۹۸۷. ص ۲۸)

إن اللهجات الخاصة قد رافقت الفصیح فی سائر عصور العربیة، ولا نحسب أن هذه المشکلة ولیدة عصرنا الحدیث فهی قدیمة ولکننا نستطیع أن نقول إنها الیوم أعقد مما کانت بالأمس، وذلک لأن المجتمع العربی یواجه حضارة معقدة، ولا تغنی لهجة الیوم الدارجة کما أن الفصیح لم یعد اللغة التی یملکها الناس، ویتصرفون فی أمرها.

والعامیة کانت معروفة فی أیام العربیة الأولی، لکننا لا نعرف عن طفولتها شیئا نجعله مادة أصیلة فی البحث بحیث نقیم من هذه الرکائز بناء یظهر التاریخ اللغوی العام لهذه اللغة. والعامیة عرفت فی أیام الخلیل بن أحمد، وأضرابه من النحویین، ولعل کتب الجاحظ خیر مصدر لمعرفة اللغات واللهجات الخاصة. فقد سجل الجاحظ نماذج من هذه اللهجات وفطن إلی مصطلحات العامة وأصحاب الحرف، وقد أشار إلی لغة الأطفال وکیف أن الطفل یستخدم ألفاظاً یطلقها علی مدلولات معینة فالطفل یرمز للکلب بلفظ "واوّاو"، کما یرمز للشاة بلفظ "ماءما" (الجاحظ ۱۹۴۸. ۸۹/۵). وهو یقول إن النبطی القح یجعل الزای سینا والعین همزة (البیان۳۲/۱) ویروی حکایات تثیر الضحک والفکاهة عن هؤلاء الناس. والأمثلة فی "البیان" کثیرة، ولعل من الطریف أن نذکر إشارة الجاحظ إلی استعمال الدخیل الفارسی فی

النصوص الفصيحة وهو الفارسى الذى لم تألفه العربية من قبل، فقد جاء فى شعر الشاعر العمانى مادحا هارون الرشيد:

«إلى يذوق الدهر آب سرد»، ومعناه:حلف لا يشرب الماء البارد أبداً. (البيان ٦١/١). نشير هنا إلى بعض المصطلحات العامية التى أوردها الجاحظ فى حديثه عن البخل: ''قال أبو فاتك: الفتى لا يكون نشالا ولا نشافا ولا مرسلا ولا لكاماً ولا مصباحاً ولا نفاضاً ولا دلاكاً ولا مقوراً ولا مغربلاً ولا مسوغاً ولا ملغماً ولا مخضراً، فكيف لو رأى أبو الفاتك اللطاع والقطاع والنهاش والمدّاد والدفاع والمحوّل؟ (الجاحظ.١٩٨١. ٦٧)

١٩. موقف ابن خلدون إزاء اللغة العامية

ولا يفوتنا أن نتذكر موقف ابن خلدون (٧٣٢-٨٠٨هـ) الذى نحا منحى جديدا خالف به جمهور العلماء، وافتتح به طريقة جديدة فى البحث اللغوى، فهو يقول مدافعا عن اللغة السائدة فى عهده وعن اللغة العامية:

«ولا تلتفتن إلى خرشفة النحاة، أهل صناعة الإعراب، القاصرة مداركهم عن التحقيق، حيث يزعمون أن البلاغة لهذا العهد ذهبت، وأن اللسان العربى فسد اعتبارا بما وقع فى أواخر الكلم من فساد الإعراب الذى يتدارسون قوانينه ...فنحن نجد اليوم الكثير من ألفاظ العرب لم تزل فى موضوعاتها الأولى». إلى أن يقول: «ولم يُفقَد من أحوال اللسان المدون إلا حركات الإعراب فى أواخر الكلم».

ثم ينتقل إلى اللغة العامية، بعد أن حذّر من خطأ التشيع للغة القديمة، فيقول: ''اعلم أن عرف التخاطب فى الأمصار بين الحضر ليس بلغة مضر القديمة ولا بلغة أهل الجيل، بل هى لغة أخرى قائمة بنفسها، بعيدة عن لغة مضر، وعن لغة هذا الجيل العربى لعهدنا...'' إلى أن يقول: ''فلغة أهل المشرق مباينة بعض الشىء للغة أهل المغرب وكذا أهل الأندلس معهما،

وكل منهم متوصل إلى تأدية مقصوده ولإبانة عما في نفسه، وهذا معنى اللسان واللغة...وفقدان الإعراب ليس بضائر لهم" (ابن خلدون.۱۹۶۱. ص۴۹۰)

۲۰. ازدواجية الفصيحة والعامية بين العربية والفارسية

إن إحدى المفارقات التى تلاحظ عند مقارنة اتجاه مجمع اللغة الفارسية ومجامع اللغة العربية هى ازدواجية الفصيحة والعامية فى العربية. هذه الازدواجية تُلحظ فى جميع اللغات، إلا أنها فى العربية تشكل الخطر الرئيسى، لأنها:

۱- تهدد بالانقسام بين مختلف الشعوب العربية التى تفرقها الأنظمة السياسية المختلفة والخلافات الموجودة فيما بينها.

۲- التوزع الجغرافى للدول العربية واسع لا يقاس بما نراه عند الناطقين بالفارسية.

۳- إنها تمس بكرامة القرآن. فالدفاع عن العربية الفصيحة واجب دينى حسب التفكير الرائج عند المسلمين الملتزمين. وهذا المحور يخص العربية ولا يتعداها إلى سائر اللغات.

لهذا نرى أن معظم توصيات مجامع اللغة العربية تركز للقضاء على هذا العائق. هذا الاتجاه يتضح بالرجوع إلى توصيات مجمع اللغة العربية فى دوراته المختلفة.

۲۱. مواقف مجمع اللغة العربية إزاء هذه الإشكالية

المحاور التى أوصى بها مجمع اللغة العربية فى دورته الخمسين (۱۹۸۴):

العمل على تحقيق التعاون الكامل بين مجامع اللغة العربية وجامعات الوطن العربى ومختلف الهيآت العلمية فيه واتحاداتها، حتى الوصول إلى *لغة عربية علمية موحدة*.

العمل على توجيه وسائل الإعلام فى الوطن العربى *للالتزام بالفصحى*، وتعيين مختصين يقومون ويضبطون الألفاظ التى تستخدم فيها، مع تقليل اهتمامها بالآداب الشعبية والمأثورات المحلية.

العمل على أن تلتزم مسارح الدولة *بالفصحى* ما أمكن، مع الطلب إلى المسارح الخاصة أن تعنى بلغة تمثيلاتها وترتقى بها تدريجياً.

العمل على توجيه أساتذة الجامعات والمعاهد ومعلمى المدارس للالتزام فى محاضراتهم ودروسهم وفى مناقشاتهم *بالفصحى السليمة*.

العمل على الطلب من وزراء التربية والتعليم تزويد مكتبات المدارس بنسخ من *القرآن المرتل*، وزيادة رصيد الطلبة فى مقررات النصوص الأدبية من حفظ القرآن الكريم.

العمل على توجيه الخطباء فى المحلات العامة *لتجنب العامية* وبخاصة خطباء الجوامع.

تبليغ هذه التوصيات إلى وزارات التربية والتعليم والثقافة والإعلام والأوقاف والجامعات والمعاهد فى جميع أقطار الوطن العربى. (الخطيب.١٩٨٦. ص ٥٩)

إلا أن هذه التوصيات قلما تطبق فى جميع النواحى، فهذا هو الدكتور «عمر فروخ» يشكو قائلاً فى كلمته فى مؤتمر المجمع: «وأنا الآتى من لبنان، يؤلمنى أن أقول: إن العربية تخوض عندنا اليوم حرباً عواناً. ففى الراديو وفى التلفزيون لا نجد الفصيحة إلا فى نشرات الأخبار وفى عدد من الأحاديث الوقورة، مما يستمع إليه قلة من الناس، أما برامج الترفيه التى تصل إلى الكثرة من المستمعين، فإنها تذاع بغير اللغة الفصيحة ».

وأردف يقول بلسان كل عربى: «أدعى من هذا كله إلى الأسى البالغ أن الأخبار التى تذاع من عدد من المحطات الأجنبية أفصح ألفاظاً وأقوم تركيباً وأصح إعراباً مما أسمعه عندنا فى نشرات الأخبار».

و ختم الدكتور فروخ كلمته مهيباً بمجامع اللغة العربية إلى المبادرة إلى حماية اللغة العربية من الأعاصير الهيابة عليها من الشرق والغرب. (الخطيب.١٩٨٦. ص١١٠)

وتحدث في كلمته في الدورة الخامسة والأربعين عن «العامية وأنصارها وأساليبهم المتجددة»، مذ كانت لهم في مصر جولة ثم اضمحلت، إلى أن جعلوا من لبنان مسرحاً لنشاطهم، وآخر نشاط كان لهم أنهم تمكنوا من دفع جريدة النهار البيروتية إلى تخصيص أحد أركانها لنشر مقال أو مقالتين بالعامية. ثم عرض نتائج الدعوة إلى العامية لدى بعض الدول الأوروبية، وكيف أدت إلى انقسام الأمة الواحدة والدولة الواحدة إلى شعوب أو دول مستقلة مختلفة اللغات، ثم حذّر العرب من التساهل مع دعاة العامية. (الخطيب.١٩٨٦. ص ١٦٣)

وعند إلقاء بحث الدكتور «حسين على محفوظ»، عضو المجمع المراسل من العراق في الدورة الـ٤٤، بعنوان: «تقريب العامية من الفصيحة » الذى أشار فيه إلى اتجاه عدد من العراقيين نحو تدوين العامية العراقية للإفادة منها، أعقب الحديث نقاشاً حاراً، وأكد الأستاذ «عباس حسن»(مصر) رفض مجمع اللغة العربية فكرة تدوين العاميات، لأن في ذلك إحياءً لها.

إلى جانب هذا، حاول أعضاء المجمع إثبات ما بين الفصيحة والعامية من وحدة الألفاظ، برد الكلمات العامية إلى أصولها الفصيحة.

الخاتمة

من مشاكل اللغة في العالم العربى إدخال العامية في الحوار وفي قاعة الدرس بحجة أن إيصال المعلومة هو الهدف. ولكن كيف يفكر ويبدع بلغة بعيدة عن العلم؟ فالعامية ليست لغة مصطلحات ولا لغة علمية، ومن أسباب قلة الاهتمام بالعربية إدخال العامية بدل الفصيحة في

محافل عدة حتى فى قاعة الدرس منذ المراحل الأساسية إلى المراحل العليا من التعليم. لذلک لا بد من احترام الفصيحة وجعلها لغة تدريس والتركيز عليها خصوصاً فى المراحل الأساسية.

ولكن، وفى نفس الوقت يجدر الانتباه إلى أهمية العامية باعتبارها لغة التخاطب بين الشعوب، واعتبارها مستوى هاما من مستويات اللغات بما فيها العربية، كما يجدر تعرف الطالب الجامعى الإيرانى على بعض اللغات العامية الأصلية ضمن برامج دراسية فى أقسام اللغة العربية وآدابها بالجامعات الإيرانية، إذ لا مجال للتواصل مع العرب ميدانيا إلا من خلال اللهجات العامية.

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين

المصادروالمراجع

١- ابن خلدون، عبد الرحمن، (١٩٦١)، المقدمة، دار الكتاب العربى، بيروت، لبنان.

٢- ابن قتيبة، (١٣٥٥)، أدب الكاتب، تحقيق أحمد شاكر، القاهرة: مطبعة الرحمانية.

٣- ابن قتيبة، (١٣٥٥)، عيون الأخبار،ج٣، القاهرة: مطبعة الرحمانية.

٤- أبو الفرج، محمد، (١٩٦٦) مقدمة لدراسة فقه اللغة، دار النهضة العربية للطباعة والنشر، بيروت، لبنان.

٥- أبو فخر، صقر، (٢٠٠١)، العجب العجاب فى كتابة الأسماء والكنى والألقاب، بيروت، جريدة السفير.

٦- أبوسالم، على، (٢٠٠٧)، اللهجة العامية العربية.
http://208.185.82.137/archive00/oct00/aqwas2-7.htm

۷- اچیسون، جین، (۱۹۸۸)، مبانی زبانشناسی، ترجمه محمد فائض(۱۳۷۱)، انتشارات نگاه، تهران.

۸- آذرنوش، آذرتاش، (۱۳۷۷)، تاریخ زبان وفرهنگ عربی، انتشارات سمت، تهران، ایران.

۹- أنیس، إبراهیم، (۱۹۶۰)، مستقبل اللغة العربیة المشترکة، معهد الدراسات العربیة العالیة، جامعة الدول العربیة.

۱۰- الجاحظ، (۱۹۸۱)، البخلاء، مصر، دار المعارف.

۱۱- الجاحظ، (۱۹۴۸)، البیان والتبیین، تحقیق عبد السلام هارون.

۱۲- الخطیب، عدنان، (۱۹۸۶)، العید الذهبی لمجمع اللغة العربیة، دار الفکر، دمشق.

۱۳- الریحانی، أمین آلبرت، (۱۹۹۴)، لغات عربیة، دار الجدید، بیروت، لبنان

۱۴- زیتونی، لطیف، (۱۹۹۴)، حرکة الترجمة فی عصر النهضة، دار النهار، بیروت، لبنان.

۱۵- السامرائی، إبراهیم، (۱۹۸۷)، فقه اللغة المقارن، الطبعة الرابعة، دار العلم للملایین، بیروت، لبنان.

۱۶- السید، محمود أحمد، (۱۹۸۹)، شؤون لغویة، دار الفکر، دمشق، سوریة.

۱۷- فیصل، سمر روحی، (۱۹۹۲)، المشکلة اللغویة العربیة، دار جروس برس، طرابلس، لبنان.

۱۸- مجموعة الکتاب، مقدمة المعجم الوسیط.

A Comparative study on the Vernacular and Eloquent Arabic Languages

Mohammad Khaghani Isfahani, PhD
Isfahan University

Abstract

In a sense, the Arab world is a united society with one language: Arabic language. But there are many Arabic vernaculars which have been separated by the time, so it is difficult for Iraqi and Algerian people; for example, to understand each other. The difference between eloquent Arabic and vernacular Arabic are self evident, and correspondingly there are two methods of communication in the Arab world. First, eloquent Arabic which is used by Arab poets and orators in general meetings, second the vernacular Arabic which is used by people in their daily life. In this study, the researcher will try to deal with the differences between eloquent Arabic and vernacular Arabic. And then he shows the influence of these differences on Arab daily life. Also the researcher tries to study the ways the scholars and Arabic Academics look at these two kinds of Arabic languages. Finally the importance of understanding of the differences between the eloquent Arabic and vernacular Arabic by Iranian teachers and students of Arabic Departments in Iranian universities will be discussed.

Keywords: *Eloquent Arabic, Vernacular Arabic, Bilingualism.*